ISSN: 2090 – 0449 Online
Type of License: CC BY-NC-ND
DOAJ API documentation: 359c88a5cecf4f7faa1c2f538c431346

مظاهر الحياة العلمية في حلب
(ق٧هـ/ ١٣م)

عبد القادر سليماني
أستاذ مشارك التاريخ الوسيط
المدرسة العُليا للأساتذة
الجلفة – الجمهورية الجزائرية

مُلَخّصْ

تعدّدت مظاهر الحياة العلمية في حلب في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي وتنوعت أشكالها، من المجالس العلمية التي كانت تُعقد في المساجد والبيوت للفقه والحديث ومختلف العلوم المتعلقة بهما، وحلقات المدارس والخوانق والزوايا، والتي كان يعقدها علماء أفذاذ من أهل حلب أو ممَنْ استقر بهم المقام بها بعد ذيوع صيتها، وانتشار المؤسسات العلمية والتعليمية به، إلى مظهر آخر كان نتيجةً للأول وهو تحوّل مدينة حلب إلى بلد رحلةٍ لكبار العلماء في ذلك العصر، يقصدونها طلبًا للعلم أو للتعليم، وللمكانة التي كان يتبوأها العلماء عند حكام المدينة وعامتها، فضلا عن بروز ظاهرة جديدة بها، وهي نشوء أسرٍ علميةٍ مذهبية، توارثت العلم والوجاهة في المدينة وساهمت بشكل كبير في دفع الحياة العلمية إلى الأمام.

بيانات الدراسة:
تاريخ استلام البحث: ١٢ أغسطس ٢٠١٤
تاريخ قبـول النشـر: ٢٣ أكتوبر ٢٠١٤

كلمات مفتاحية:
المشرق الإسلامي، المجالس العلمية، المجالس الفقهية، مجالس الحديث، الأسر العلمية

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:
عبد القادر سليماني. "مظاهر الحياة العلمية في حلب (ق ٧هـ/ ١٣م)".- دورية كان التاريخية.- العدد التاسع والعشرون؛ سبتمبر ٢٠١٥. ص ١٥٢ – ١٦٥.

مُقَدِّمَةْ

ذاع صيت حلب وعلت مكانتها العلمية خلال القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، لما عرفته من انتشار المؤسسات العلمية والتعليمية بها، والتنافس بين الأمراء والوجهاء في تشييدها والاعتناء بها، فزادت المجالس العلمية في مختلف العلوم، وكثر الطلب بها، حتى غدت منافسة لشقيقتها دمشق أو ربما فاقتها، وقد ارتبطت المكانة الكبيرة للمدينة بشخصية عظيمة، هي شخصية نور الدين محمود زنكي (ت.٥٦٩هـ/١١٧٤م) الذي أقام مشروعه الجهادي ضد الصليبيين على شقين أولهما عسكري وثانيهما علمي، عمل من خلاله على ترسيخ سياسة إحيائية علمية سنية، قامت على بناء المدارس والتشجيع على بناءها، واستقطاب كبار العلماء من مختلف الأقطار، والتعظيم من شأنهم، وهو الأمر الذي استمر وازداد على أيدي خلفائه من بعده من الأيوبيين، وما أن دخل القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي حتى بدأت تلك السياسة تُؤتي أكلها، من خلال كثرة مجالس العلم والطلب بها وهي الملاحظة التي يُوردها أحد صناع الحياة العلمية بها والشاهدين عليها وهو المؤرخ ابن خلكان (ت.٦٨١هـ) حين يقول: "ولما وصلت إلى حلب لأجل الاشتغال بالعلم الشريف وكان دخولي إليها يوم الثلاثاء مستهل ذي القعدة سنة ست وعشرين وستمائة وهي إذ ذاك أم البلاد مشحونة بالعلماء والمشتغلين..."[١]، وهوما سنتناوله بالتفصيل في هذه الدراسة.

أولاً: المجالس العلمية

تُعتبر المجالس العلمية مظهرًا هامًا من مظاهر نشاط الحركة العلمية في أي بلاد، لأنّها مرآةً عاكسة لمدى رغبة المجتمع وأفراده في طلب العلم والاستزادة منه. ولأنّ الأمر كذلك فإنّ مدينة حلب في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي لم تشذّ عن هذه القاعدة، حيث أنّني ومن خلال بحثي في المصادر المختلفة استطعت احصاء ما لا يقل عن (٣٠٨) مجالس علمية طوال هذا القرن، تنوّعت مضامينها حسب الترتيب من الفقه الى الحديث ثمّ النحو والعربية والقراءات.

١/١- مجالس الفقه وعلومه:

تضمّنت مجالس الفقه أيضًا علم أصول الفقه والخلاف، وقد كان تدريسها يرتكز على عدّة طرق منها تحفيظ المتون والمختصرات الشهيرة في واحدٍ من المذاهب، . كمختصر القدوري[٢] في الفقه الحنفي أو الوجيز[٣] في الفقه الشافعي ، أو تدريسه من خلال الاستدلال على الأحكام الشرعية من الكتاب والسنّة، وفي هذه الحالة الأخيرة فإنّ الدرس يتضمّن أيضًا التفسير وفقه الأحاديث، وقد كانت هذه المجالس الفقهية تُعقد في المدارس والجوامع والخوانق، فضلا عن بيوت العلماء وكبار القوم من الأمراء والوزراء. وبالعودة إلى ما تقدّم من إحصاء تقريبي فإنّ مجالس الفقه وعلومه أخذت نصيب الأسد حيث أحصينًا مائة وستة وستين مجلسًا للفقه[٤] وما تعلّق به من علوم، وقد تعدّدت أماكن إلقاء الدروس، فبالرغم من انتشار المدارس إلاّ أنّ بعض مجالس الفقه بقيت تُعقد في الجوامع أو البيوت.

وقد قسّمت هذه المجالس حسب المذاهب الفقهية فوجدتُ تقاربًا في العدد بين مجالس الشافعية والحنفية، فالأولى بلغ عددها (٨٣) مجلسًا، والثانية أحصيت منها (٨٢) مجلسًا، أما الفقه المالكي فإنّي لم أحص منه شيئًا كثيرًا إلاّ ما كان في المدرسة المشتركة مع الشافعية وهي مدرسة الجبيل،[٥] ومع ذلك فإنّ مدرسيها كانوا من الشافعية، يُضاف إلى ذلك مجلسٌ بالجامع الكبير ذكره المؤرخ ابن العديم، وهو مجلس الفقيه المالكي أبو عيسى بن موسى المغربي (ت. ٦٤٠ هـ/ ١٢٤٣م).[٦]

ويبدو لي أنّ سبب ذلك . إضافة إلى عدم التمكين للمذهب المالكي في المدينة . يعود إلى ظاهرة تغيير الانتماء للمذاهب، فقد وُجدت نماذج لعلماء مالكية من المغرب والأندلس استقروا في مدينة حلب، ولما كانت سوق مذهبهم كاسدةً فيها، أُضطروا إلى انتحال مذاهب أخرى إما رغبةً في البروز على المستوى العلمي، أو لتبوّأ مناصب في الدولة كانت حكرًا على المتمذهبين بالمذهب الشافعي أو الحنفي، وهما الأكثر سيطرةً في المدينة آنذاك، ومن هؤلاء أبي عبد الله الفاسي المقرئ (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) والذي كان مالكيا أشعريا، إلا أنّه لمّا قدم حلب اعتقد على مذهب أبي حنيفة،[٧] وكذلك الأمر بالنسبة للفقيه أبي عبد الله السلاوي (ت. ٦١٦هـ /١٢١٩م)،[٨] ورغم ذلك فقد وُجد من المالكية من بقي على مذهبه، إلا أنّ مساهمته العلمية في المدينة اقتصرت على الحديث أو النحو وغيره مثل المحدّث محي الدين الشاطبي المالكي (ت. ٦٦٢هـ /١٢٦٤م) فقد ولي دار الحديث الهائية بحلب وحدّث بها.[٩]

أما الحنابلة فقد تركّز نشاطهم في مدينة حلب على الحديث وعلومه، وسنفصّل في ذلك عند التطرق إلى مجالس الحديث. وبالعودة إلى مجالس الفقه فإنّ أغلبها كان بالمدارس وسنُعطي عليها أمثلة مبتدئين بمجالس الشافعية ومنها:

- أولاً: مجلس القاضي أبي المحاسن بهاء الدين ابن شداد الشافعي في المدرسة الصاحبية، فقد كان مجلسًا حافلاً بالطلبة والمشتغلين حسب وصف المؤرخ ابن خلكان الذي درس بنفسه على الشيخ.[١٠]
- وثانيها: مجلس الفقيه محمد بن أبي بكر ابن الخباز الموصلي (ت. ٦٣١هـ /١٢٣٤م) في المدرسة السيفية، فقد كان يدرّس بكتاب "الوجيز" للغزالي.[١١]
- وثالثها: مجلس الفقيه كمال الدين ابن العجمي الحلبي (ت. ٦٤٢هـ /١٢٤٥م) في المدرسة الزجاجية، حيث رُوي عنه أنّه ألقى كتاب "المهذّب"[١٢] دروسًا خمسًا وعشرين مرّة.[١٣]
- ورابعها: هو مجلس الفقيه اسماعيل بن باطيش الموصلي (ت. ٦٥٥هـ/١٢٥٧م) في المدرسة النورية، وقد شمل مجلسُه أصول الفقه أيضًا فقد تميّز به، فالذهبي يصفه بأنّه كان أصوليًا متفننًا،[١٤] وقد استمرّ في التدريس حتّى تجاوز الثمانين من عمره.[١٥]
- وخامس هذه المجالس: هو مجلس الفقيه المحدث كمال الدين أحمد ابن الأستاذ الأسدي الحلبي (ت. ٦٦٢هـ/ ١٢٦٤م) بالمدرسة الظاهرية، وهي مدرسةٌ مشتركةٌ بين الشافعية والحنفية، كما درّس بغيرها من المدارس، وقد أطنبت المصادر في وصف مجلسه وحرص الطلبة على حضوره، حتّى قيل عنه أنّه كان من حسنات الدهر في حلب في هذا القرن.[١٦]

وإضافةً إلى مجالس المدارس فقد وُجدت مجالس أخرى بغيرها من المؤسسات التعليمية ومنها: مجلس الفقيه والمحدّث الصوفي أحمد بن عمر الخيوقي المعروف بنجم الدين الكبرى (ت. ٦١٨ هـ /١٢٢١م) فقد استقرّ بخانقاه القصر، وعقد فيها مجالس للعلم والفقه، وقد وصفه الذهبي بأنّه محدث معروف بالسنّة والتعبد.[١٧] وأيضًا مجلس: الفقيه أحمد بن عبد الله الأشتري الحلبي (ت. ٦٨١ هـ /١٢٨٢م) في الجامع الأموي أيضًا، وقد كان رجلاً جامعًا بين الفقه والحديث والتصوف، موصوفًا بالعبادة والصلاح والحرصعلى نشر العلم والإفادة.[١٨] ومنها مجلس: الفقيه شمس الدين محمد بن بهرام الدمشقي (ت. ٧٠٥ هـ/١٣٠٦م) في جامع بني أمية الكبير، وكان يُدرّس بكتاب "التعجيز"،[١٩] كما أنّه ألّف مختصرًا في الخلاف استخرجه من حلية الشاشي،[٢٠] ودرّس به، وقد استمرّ مجلسُه حتّى وفاته.[٢١]

وأمّا مجالس الفقه الحنفي، فسنذكر منها:

- أولاً: مجلس الفقيه شمس الدين محمد بن يوسف بن الخضر الحلبي المعروف بابن القاضي الأبيض (ت. ٦١٤هـ /١٢١٧م) بالمدرسة الشاذبختية بظاهر حلب.[٢٢]
- وثانيًا: مجلس الفقيه والمحدث عبد المطلب بن الفضل الهاشمي الحلبي (ت.٦١٦هـ /١٢١٩م) بالمدرستين الحلاوية والمقدّمية،[٢٣] وهذا الإمام كان شيخ مذهب الحنفية بالمدينة وكان مجلسه مهوى أفئدة العامة والرؤساء، وقد استمر في مجلسه حتّى تجاوز الثمانين.[٢٤]

- وثالثًا: مجلس الفقيه جمال الدين خليفة بن سليمان الحوراني (ت. ٦٣٨ هـ /١٢٤١م) في المدرسة الأتابكية، والذي ابتدأه سنة (٦١٦هـ /١٢١٩ م)، حتّى سنة وفاته.[٢٥]
- ورابعًا: مجلس الفقيه محمد بن عمر بن حفاظ المعروف بابن العقّادة الحموي (ت. ٦٤٢ هـ /١٢٤٥م) بالمدرسة الطومانية، فقد نظم مختصر القدوري في الفقه أرجوزةً وكان يُدرّس به.[٢٦]
- وخامسًا: مجلس الفقيه المحدث نجم الدين علي بن خشّنام الكردي المعروف بشيخ الإسلام (ت. ٦٥٨ هـ /١٢٦٠م) بالمدرسة الجاولية، حيث كان مجلسًا حافلاً بالإفتاء والتّدريس، واستمرّ به من بعد سنة (٦٣٠هـ/١٢٣٣م) حتّى استشهاده في وقعة المغول سنة (٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م).[٢٧]
- وسادسًا: مجلس الصاحب كمال الدين عمر بن أبي جرادة المعروف بابن العديم الحلبي (ت. ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م)، وشهرة الرجل تُغني عن الإطناب في وصفه ووصف مجلسه في المدرسة الحلاوية الذي جمع بين الحديث والفقه والأدب، وقد ارتاده أكابر الدولة قبل الطلبة والمتفقهة،[٢٨] وممّا يدل على فضل هذا الرجل أنّك تجد له تراجم مع المؤرخين والمحدّثين والفقهاء والنحاة، فالمؤرخ ابن شاكر الكتبي يصفه فيقول: "كان محدثًا حافظًا مؤرخًا فقيهًا مفتيًا بليغًا..."،[٢٩] والحافظ ابن كثير يقول: "سمع الحديث وحدّث وأفتى ودرّس وكان إمامًا في فنون كثيرة".[٣٠]

أما مجالس الفقه الحنفي في المؤسسات التعليمية الأخرى غير المدارس فنضرب منها أمثلة:

- أوّلها: مجلس الفقيه ركن الدين إبراهيم بن عثمان الحموي ثمّ الدمشقي (ت. ٦٣٧هـ /١٢٤٠م) بالجامع الكبير.[٣١]
- وثانيها: مجلس الفقيه الصّوفي أحمد بن يوسف الأنصاري الدمشقي ثمّ الحلبي (ت. ٦٤٩هـ/ ١٢٥١م) وهومن كبار علماء الحنفية في عصره، فقد برع في الفقه والخلاف، وزيادةً على مجالسه في المدارس الحنفية في حلب، فقد كان له مجلسٌ دائمٌ في رباط سنقر جاه في حلب، وممّا يدلّ على علم الرجل وشُهرته أنه أُستدعي مرّةً إلى بغداد لتدريس الفرقة الحنفية في المدرسة المستنصرية.[٣٢]
- وثالثها: مجلس الفقيه الصّوفي فخر الدين إسماعيل بن هبة الله الحلبي المعروف بابن العديم (ت. ٦٩٤هـ /١٢٩٥م) في خانقاه القديم في حلب.[٣٣]

٢/١- مجالس الحديث:

أشرنا فيما سبق من هذه الدّراسة إلى أنّ الاهتمام بالحديث الشريف ومدارسه، قد بدأ منذ أواخر القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي في كل المشرق الإسلامي، من خلال سياسةٍ علميةٍ رسمها الحكام والعلماء معًا، وبالفعل فقد بدأت نتائج هذا الاهتمام تظهر خلال القرون التالية، السابع وما بعده في شتّى أنحاء العالم الإسلامي، ففي مدينة حلب استطعتُ إحصاء (١٠٣) مجالس للحديث طوال هذا القرن،[٣٤] توزّعت على المدارس والجوامع والخوانق والبيوت. وتفصيلاً أكثر لهذا العدد فقد وجدتُ منه (٦٨) مجلسًا طويلاً استمر أصحابُه في التّحديث حتّى سنوات وفياتهم، والباقي هو لمجالس قصيرة الأمد، أو لشيوخٍ من غير حلب ممّن زارها وحدّث بها.

أما المجالس الطويلة المدة فسأذكر منها ستة مجالس:

- أوّلها: مجلس القاضي بهاء الدين بن شداد الشافعي المذكور آنفا، وقد بدأه قُبيل بداية القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي واستمرّ فيه حتّى وفاته سنة (٦٣٢هـ/ ١٢٣٥م)، حيث كان يُسمع الحديث بين صلاتي الظهر والعصر في بيته، ولمّا بنى دار الحديث المعروفة باسمه أضاف مجلسًا آخر بها،[٣٥] ومن خلال نظرةٍ بسيطةٍ في كتب التراجم المختلفة يُمكننا أن نُدرك قيمة الرجل العلمية وفضله، فقد رحل إلى بلادٍ عديدة وسمع، ودرّس بنظامية بغداد وغيرها،[٣٦] ثمّ استقرّ بحلب وصار من رؤسائها، وكان للناس به نفعٌ كبيرٌ كما يقول المؤرخ أبوشامة المقدسي.[٣٧]
- وثانيها: مجلس الحافظ تقي الدين إبراهيم بن محمد الصريفيني الحنبلي (ت. ٦٤١هـ/١٢٤٤م) في دار الحديث البهائية في حلب، حيث كان يتكلّم على الأحاديث وفقهها ومعانيها،[٣٨] وقد ولاّه ابن شداد هذه المدرسة[٣٩] في حدود سنة (٦٣٠هـ/١٢٣٣م) فاستمرّ بها الى سنة (٦٤٠هـ/١٢٤٣م) ثمّ غادرها الى دمشق،[٤٠] وقد وُصف الرجل بأنّه كان إمامًا صدوقًا واسع الرواية والدراية.[٤١]
- وثالثها: مجلس المحدّث الرحال يوسف بن خليل الأدمي الدمشقي ثمّ الحلبي الحنبلي (ت. ٦٤٨هـ/١٢٥٠م) فقد استوطن حلب وتصدّر بجامعها وصار حافظها والمشار إليه بعلم الحديث فيها،[٤٢] وقد بدأ بالتحديث من قبل سنة (٦٠٠هـ/١٢٠٣م) وحتّى وفاته، وروى عنه خلقٌ كثير، وآخِر من روى عنه إجازةً زينب بنت الكمال.[٤٣]
- ورابعها: مجلس المحدّث المسند كمال الدين أحمد بن محمد النصيبي الشافعي (ت. ٦٩٢هـ/١٢٩٣م) في الجامع الكبير أيضًا، حيث كان يروي في مجلسه كتاب "الشمائل" للترمذي (ت. ٢٧٩هـ/٨٩٣م) وغيره، وقد وُصف هذا الرجل بأنّه كان أسند من بقي في حلب.[٤٤]
- والمجلس الخامس هو: مجلس الحافظ جمال الدين أحمد بن الظاهري الحلبي الحنفي (٦٩٦هـ/ ١٢٩٧م) وهومن كبار حُفّاظ العصر فقد سمع على نحو سبعمائة شيخ، وخرّج لنفسه أربعين حديثًا في أربعين بلدًا،[٤٥] وكان يُحدّث في زاوية له بحلب، وقد سمع منه البرزالي (ت.٧٣٩هـ/١٣٣٩م)، والمزّي (ت. ٧٤٢هـ/١٣٤١م) والذهبي (ت. ٧٤٨هـ/١٣٤٧م).[٤٦]
- والمجلس الأخير: هو مجلس المسند علاء الدين بيبرس العديمي التركي الحلبي الحنفي (ت. ٧١٣هـ /١٣١٣م)، فقد تفرّد في حلب

بكثرة عواليه، وحدّث سنين عديدة، وكانت الرحلة تُشدّ إليه رغبةً في رواياته.[٤٧]

ويُضاف إلى ما ذكرناه مجالسٌ وحلقات أخرى عقدها أصحابها لمدَدٍ قصيرة، أو أنّ شيوخها كانوا ممِنْ زار حلب أومرّ بها فسمع منه الناس ومنها: مجلس الحسين بن المبارك الزبيدي البغدادي الحنبلي (ت. ٦٣١هـ/١٢٣٤م)، حيث حدّث بالصحيح في الجامع الكبير في حلب.[٤٨] ومجلس المحدث علي بن أبي بكر بن روزبة البغدادي الصوفي (ت. ٦٣٣هـ/ ١٢٣٦م)، فقد حدّث بالصحيح في حلب وازدحم عليه الناس.[٤٩] وأيضًا: مجلس المسند عز الدين بن رواحة الحموي الشافعي (ت. ٦٤٦هـ /١٢٤٨م) فقد حدّث مرّاتٍ عديدة بحلب.[٥٠] والمجلس الآخر: هو مجلس المحدّث محي الدين الشاطبي المالكي (ت. ٦٦٢هـ/ ١٢٦٤م)، فقد وليّ دار الحديث البهائية بحلب وحدّث بها لسنواتٍ عديدة.[٥١] ومنها: مجلس الشيخ مجد الدين الهذباني الحموي الشافعي الصوفي (ت.٦٨٧هـ/١٢٨٨م)، فقد حدّث بزاوية له بحلب، وكان المحدّث جمال الدين بن الظاهري يعظّمه، وقد سمع منه المزّي والبرزالي.[٥٢] وآخر هذه المجالس: هو مجلس المحدّث أبي بكر الكردي الدِشتي الحنبلي (ت. ٧١٣هـ /١٣١٣م)، حيث عُرف عنه أنّه حدّث بمسند الطيالسي في حلب.[٥٣]

وقد مثّلت عدد مجالس الحديث في مدينة حلب في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي في جدولٍ حسب مذاهب المحدثين كما يلي:

جدول رقم (١) أعداد ونسب المحدّثين في مدينة حلب حسب مذاهبهم (ق ٧هـ / ١٣م)		
المحدثون حسن مذاهبهم	العدد	النسبة المئوية
الشافعية	٥١	%٤٩.٥١
الحنفية	٣٨	%٣٦.٨٩
الحنابلة	١٣	%١٢.٦٢
المالكية	١.	%٠.٩٧
المجموع	١٠٣	%١٠٠

من خلال الجدول رقم (١) يتّضح لنا غلبة المذهب الشافعي على المحدثين في مدينة حلب بـ (٥١) محدثًا ونسبة (٥٠%) ومن بعده المذهب الحنفي بـ (٣٧) محدثًا ونسبة (٣٦.٢٧%)، وهو أمر مبرّر على اعتبار انتشار هذين المذهبين في المدينة، إلاّ أنّ الملفت للانتباه هو نشاط المحدّثين الحنابلة في المدينة بـ (١٣) محدثًا، ونسبة (١٢.٧٤%) وهو رقم يُعبّر عن النشاط الحثيث للطائفة الحنبلية في المشرق الإسلامي عمومًا وبحلب خصوصًا، وهي . أي مدينة حلب . وإن لم تكن من مناطق نفوذ المذهب الحنبلي في هذا القرن، إلاّ أنّ كبار المحدّثين الحنابلة قد أثّروا الحياة العلمية فيها بشكلٍ كبيرٍ.

ويبدو لي أنّ استقرار الحافظ ابن خليل الأدمي بالمدينة ونشاطه العلمي بها، كان عاملاً مشجعًا على وفود الحنابلة إليها إمّا للسماع منه أو التحديث وذلك لمكانة الرجل الكبيرة بالمدينة، وقد وجدنا في العديد من تراجم علماء الحنابلة الذين حدّثوا بحلب أنّهم زاروها في أيام الحافظ بن خليل، فهذا الاقتران المتكرّر يُعطينا صورةً واضحةً عن ذلك، ومن أمثلة ذلك المحدّث شمس الدين محمد بن سعد الأنصاري المقدسي ثمّ الدمشقي الحنبلي (ت. ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م)[٥٤] والمحدّث كمال الدين عبد الرحيم ابن قدامة المقدسي الحنبلي (ت. ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م).[٥٥]

وقد حاولت النظر إلى مجالس الحديث في مدينة حلب في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي من زاويةٍ إحصائية أخرى أيضًا، وهي معرفة أعدادها ونسبها المئوية حسب أماكن القائها أي المؤسسات العلمية والتعليمية، كما هو موضح في الجدول رقم(٢).

جدول رقم (٢) أعداد ونسب مجالس الحديث في مدينة حلب حسب أماكن القائها (ق ٧هـ/ ١٣م)		
المؤسسات التعليمية	عدد المجالس	النسبة المئوية
المساجد والجوامع	٧٠	%٦٧.٩٦
المدارس ودور الحديث	١٩	%١٨.٤٤
البيوت	٩.	%٨.٧٣
الخوانق والأربطة	٣.	%٢.٩١
الزوايا	٢.	%١.٩٤
المجموع	١٠٣	%١٠٠

من خلال الجدول رقم (٢) يُمكننا أن نلاحظ أنّ أغلب مجالس الحديث الشريف كانت تُقام في المساجد والجوامع، بـ (٧٠) مجلسًا ونسبة (٦٧.٩٦%)، خصوصًا في الجامع الأموي الكبير، وذلك لأنّ هذا الجامع كان مفتوحًا لكلّ الطوائف المذهبية السنّية، ممّا يمكّن المحدّثين من غير الشافعية والأحناف بالنشاط فيه بحريّةٍ قد تنعدم في باقي المؤسسات المذهبية، والتي كانت حصرًا على علماء وشيوخ هذه المؤسسات، وقد لاحظنا فيما سبق وجود فئةٍ من المحدّثين الحنابلة رأت في حلقات الجامع الكبير متّسعًا لنشاطها العلمي، طبعًا مع وجود استثناءات كالمحدّثيْن تقي الدين الصريفيني (ت.٦٤١هـ/١٢٤٤م)، ومحي الدين الشاطبي المالكي (ت. ٦٦٢هـ /١٢٦٤م)، اللّذين وليا دار الحديث البهائية الشافعية وحدّثا بها.

أمّا التحديث في المدارس فقد جاء في المرتبة الثانية بـ (١٩) مجلسًا ونسبة (١٨.٤٤%)، وقد كان مرتبطًا بشكلٍ كبيرٍ بمذهب المحدّث ومكانته.

وبعدها تأتي مجالس الحديث بالبيوت بـ (٩) مجالس ونسبة (٨.٧٣%) وأغلبها مجالس لنساءٍ محدّثات ممّا يفسّر سبب عقدها بالبيوت، ثمّ مجالس الخوانق والأربطة بـ (٣) مجالس ونسبة (٢.٩١%)، وأخيرًا مجالس الزوايا بمجلسين ونسبة (١.٩٤%).

وبالنسبة لمجالس الحديث في الخوانق والأربطة، فهذا يُحيلنا إلى ملاحظة مهمّة وهي مشاركة طائفة الصوفية والزُهّاد في نشر الحديث الشريف وعلومه، رغم ما عُرف عن أكثرهم من بعدٍ عن الالتزام بصحيح الدين وصريحه، إلاّ أنّ ذلك يمدّنا بصورةٍ مضيئةٍ عن مشاركة وانخراط جميع مكوّنات الجسد العلمي الحلبي في الحياة العلمية في المدينة.

٣/١- مجالس العلم الأخرى:

لم تقتصر مجالس العلم على الفقه والحديث فقط، بل اتّسعت لتشمل علومًا أخرى من قبيل النحو والقراءات والفرائض، وحتّى مجالس قراءة كتب الوعظ والفضائل، وقد أحصيتُ منها جميعها إحدى وأربعين مجلسا،[٥٦] وسأورد منها أمثلةً أبدأها بالنحو والعربية:

وأوّلها: مجلس الشيخ القاسم بن القاسم الواسطي (ت. ٦٢٦هـ /١٢٢٩م) فقد استوطن مدينة حلب في أوائل القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي واتّخذ له مجلسًا بالجامع الكبير لتدريس النحو، واستمرّ في ذلك إلى وفاته في السنة المذكورة، كما كانت له مساهماتٌ في التأليف أيضًا.[٥٧]

وثانيها مجلس الشيخ موفق الدين بن يعيش الحلبي (ت. ٦٤٣هـ/ ١٢٤٦م)، وفي الحقيقة فقد كانت له عدّة مجالس موزّعةً بين الجامع الكبير والمدرسة الرواحية الشافعية وبيته.[٥٨]

ويُعَدّ ابن يعيش من كبار نُحاة هذا القرن، فضلاً عن مشاركته في علم الحديث أيضا، ولعلّ أهمّ مصدرٍ يُفيدنا في الحديث عن هذا الرجل ومجالسه هو كتاب "وفيات الأعيان" لابن خلكان، حيث أنّ هذا الأخير درس على يدي ابن يعيش وفي ذلك يقول: "وكان دخولي إليها (أي حلب) سنة ستٍّ وعشرين وستّمائة.... وكان الشيخ موفق الدين شيخ الجماعة في الأدب، ولم يكن فيهم مثلُه "، ثمّ يصف طريقته في التدريس فيقول: "وكان حسن التفهيم لطيف الكلام، طويل الروح على المُبتدي والمنتهي، وكان خفيف الروح ظريف الشمائل كثير المجون، مع سكينةٍ ووقارٍ"،[٥٩] وقد أسهبت المصادر الأخرى أيضا في وصف الرجل وفضله، وحسبُنا قول الذهبي فيه: "تخرّجبه أئمّة وكان طويل الباع ثقةً علاّمة".[٦٠]

وثالث هذه المجالس: هو مجلس الشيخ جمال الدين ابن مالك الجياني النحوي الشهير صاحب الألفية (ت. ٦٧٢هـ/ ١٢٧٤م)، فقد تصدّر بجامع حلب لإقراء النحو مدّةً من الزمان، ثمّ غادر إلى دمشق.[٦١]

ورابعها: مجلس الإمام كمال الدين عبد الله الغرناطي المالكي (ت. ٧١١هـ/١٣١١م) حيث أقام في حلب عشر سنين يدرّس الناس النحو والقراءات.[٦٢]

أمّا مجالس القراءات فمنها:

مجلس الشيخ أبي إسحاق بن ريحان الرقّي الضرير (ت. ٦٢٩هـ/ ١٢٣٢م) في الجامع الكبير.[٦٣]

ومجلس الشيخ أبي عبد الله محمد بن الحسن الفاسي المالكي ثمّ الحنفي (ت. ٦٥٧هـ /١٢٥٩م) الذي قدم حلب في بداية القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وكان له بها مجلسٌ حافلٌ في الجامع الأموي الكبير،[٦٤] وقد قال عنه الذهبي: "شرح القصيدة الشاطبية في التجويد فأجاد فيها، وكان إمامًا متفننًا بصيرًا بالقراءات وعللها، ثقةً حجّة، انتهت إليه رئاسة الإقراء ببلد حلب"،[٦٥] كما عُرف عنه أنّه كان يُجيد الكلام على طريقة الأشعري.[٦٦]

أمّا المجالس العلمية الأخرى فمنها في الفرائض:

- مجلسٌ لعيسى بن طاهر الحلبي الحاجب (ت. ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م)[٦٧] وآخر لمجد الدين الحسن بن أمين الدولة الحنفي (ت. ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م)،[٦٨] ومجلسٌ لصدر الدين البُصروي الحنفي (ت. ٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م).[٦٩]

ويُمكننا أن نضيف إلى كلّ المجالس العلمية السابقة، مجالس أخرى لقراءة الكتب ومنها:

- مجلس أبي عبد الله محمد بن أحمد السلاوي الحنفي (ت. ٦١٦هـ /١٢١٩م)، حيث قدم إلى حلب سنة ستمائة وحدّث فيها بسيرة ابن هشام.[٧٠]
- ومجلس آخر لإسماعيل بن هبة الله الإسنائي الشافعي (ت. ٧٠٠هـ/١٣٠١م) الذي دخل حلب في أواخر القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، فظنّ الشيعة أنّه شيعي لكونه من إسنا،[٧١] لكنّه ألّف كتابًا في فضائل أبي بكر، وعقد مجلسًا في الجامع الكبير يدرّس به مستدلاً على إمامة الصديق "رضي الله عنه".[٧٢]

ثانيًا: الرحلة إلى مدينة حلب

إنّ المقصود من الرحلة إلى مدينة حلب خلال القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، هو إبراز مدى استقطاب المدينة للعلماء والطلبة على حدٍّ سواء، لأنّ هذا الأمر في رأينا هو مظهرٌ مهمٌ من مظاهر الحياة العلمية، وقد ذكرنا في المبحث السابق أسماء بعض العلماء . من غير الحلبيين . ممّن ساهم في الحياة العلمية بالمدينة، إلاّ أنّنا في هذا المبحث سنحاول التركيز على من جاء حلب طلبًا للعلم، خصوصًا من الأسماء التي صارت فيما بعد من أبرز أعلام العصر، لأنّه من المعروف في تاريخنا أن الرحلة في طلب العلم والحديث أساس قيمة الرجال العلمية، بل إنّ هناك من يقيس مدى علم الرجل في أي مجال بِسَعَة رحلته قبل أسماء شيوخه، ولهذا فقد كان للرحلة في طلب العلم أثرًا كبيرًا في تقدير العالِم،[٧٣] هذا قبل أن تبرز وسائل وطرقٌ أخرى لنقل العلم كالإجازة والوجادة[٧٤] وغيرها، ولذلك وجدنا من العلماء من لم يُجز الأخذ

بها[٧٥] لأنّها أبطلت الرحلة التي كانت من سبل طلب العلم المشهورة، وبناءً على ذلك فقد بدأت البحث في تراجم العلماء الذين رحلوا إلى مدينة حلب في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي لطلب العلم أو سماع الحديث.

وللتأكد من ذلك فقد أخذت عيّنة عشوائية من خمسين عالمًا برزوا خلال هذا القرن وما بعده، من الذين رحلوا الى حلب ودرسوا بها، فوجدت فيها تنوعًا وتعددًا، حسب المذاهب الفقهية ومواطن هؤلاء العلماء وتخصّصاتهم كما هو موضحٌ في الجدول رقم(٣).

الجدول رقم (٣)		عينة لخمسين عالما ممَنْ رحلوا الى حلب طلبًا للعلم (ق ٧هـ / ١٣م)		
م	اسم العالم ومذهبه وسنة وفاته	تخصصه العلمي	موطنه الأصلي	شيوخه في حلب
١	ضياء الدين المقدسي الحنبلي (ت. ٦٤٣هـ/١٢٤٦م)[٧٦]	محدّث	بيت المقدس	ابن خليل الأدمي
٢	شرف الدين ابن الجوهري الشافعي (ت. ٦٤٣هـ/١٢٤٦م)[٧٧]	محدّث	دمشق	ابن خليل الأدمي
٣	تقي الدين بن الصلاح الشافعي (ت. ٦٤٣هـ/١٢٤٦م)[٧٨]	محدّث	شهرزور	بهاء الدين بن شداد ووالده الصلاح الكردي وابن الأستاذ
٤	سراج الدين بن شحانة الحنبلي (ت. ٦٤٣هـ/١٢٤٦م)[٧٩]	محدّث	حران	افتخار الدين الهاشمي
٥	أبو المنصور عبد الله بن محمد الحنبلي (ت. ٦٤٣هـ/ ١٢٤٦م)[٨٠]	محدّث	بغداد	افتخار الدين الهاشمي
٦	محمد بن عبد العظيم بن زكي الدين المنذري الشافعي (ت. ٦٤٣هـ/١٢٤٦م)[٨١]	محدّث	مصر	كانت له رحلة الى حلب
٧	محب الدين بن النجار (ت ٦٤٣هـ/١٢٤٦م)[٨٢]	محدّث ومؤرخ	بغداد	كانت له رحلة الى حلب
٨	عماد الدين أحمد بن يوسف العلوي الحنفي (ت ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م)[٨٣]	فقيه	الموصل	افتخار الدين الهاشمي
٩	ناصح الدين فرج الخادم الحبشي الحنفي (ت ٦٥٢هـ/١٢٥٤م)[٨٤]	فقيه	الأندلس	افتخار الدين الهاشمي
١٠	ناصح الدين الحنبلي(ت٦٥٣هـ/١٢٥٥م)[٨٥]	محدّث	حران	ابن خليل الأدمي
١١	سبط بن الجوزي الحنفي (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م)[٨٦]	مؤرخ وواعظ	بغداد	افتخار الدين الهاشمي وابن الأستاذ
١٢	أبوعبد الله محمد بن ابراهيم المالكي (ت. ٦٥٥هـ/١٢٥٧م)[٨٧]	فقيه	المغرب	عبد اللطيف بن الفضل الهاشمي
١٣	علم الدين محمد محمد بن أحمد المالكي (ت. ٦٦١هـ/١٢٦٣م)[٨٨]	مقرئ	الأندلس	افتخار الدين الهاشمي
١٤	تقي الدين أحمد بن عبد الواحد الشافعي (ت. ٦٦٧هـ/١٢٦٩م)[٨٩]	فقيه	بيت المقدس	افتخار الدين الهاشمي
١٥	شمس الدين بن هامل الحنبلي (ت ٦٧١هـ/١٢٧٣م)[٩٠]	محدّث	حران	موفق الدين بن يعيش
١٦	شرف الدين أبو المظفر يوسف بن الحسن الشافعي (ت. ٦٧١هـ/١٢٧٣م)[٩١]	محدّث	دمشق	موفق الدين بن يعيش
١٧	ناصح الدين أبو الثناء محمود الطاووسي الشافعي (ت. ٦٧٢هـ/١٢٧٤م)[٩٢]	فقيه	قزوين	بهاء الدين بن شداد وابن الأستاذ

الجدول رقم (٣)			عينة لخمسين عالما ممَنْ رحلوا الى حلب طلبًا للعلم (ق ٧هـ / ١٣م)	
١٨	تقي الدين ابن العنيقة الحنبلي (ت. ٦٧٤هـ/١٢٧٦م)[٩٣]	محدّث	حران	العز بن رواحة وابن خليل وابن يعيش
١٩	شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد الأنصاري الحنبلي (ت. ٦٧٧هـ/١٢٧٨م)[٩٤]	محدّث	دمشق	ابن رواحة وابن خليل
٢٠	شمس الدين محمد بن عربشاه الشافعي (ت. ٦٧٧هـ/١٢٧٨م)[٩٥]	محدّث	همذان	ابن خليل
٢١	شمس الدين عبد الله بن الأوحد الحنفي (ت. ٦٧٨هـ/١٢٧٩م)[٩٦]	فقيه	دمشق	افتخار الدين الهاشمي
٢٢	جمال الدين أبو حامد ابن الصابوني الشافعي (ت. ٦٨٠هـ/١٢٨١م)[٩٧]	محدّث	دمشق	الموفق عبد اللطيف البغدادي
٢٣	محمد بن رزين الشافعي (ت. ٦٨٠هـ/١٢٨١م)[٩٨]	فقيه ونحوي	حماه	ابن يعيش
٢٤	شرف الدين محمد بن أحمد بن المجير الشافعي (ت. ٦٨٠هـ /١٢٨١م)[٩٩]	محدّث	دمشق	ابن خليل
٢٥	ابن خلكان الشافعي (ت. ٦٨١هـ/١٢٨٢م)[١٠٠]	مؤرخ	اربل	ابن يعيش وابن شداد
٢٦	شهاب الدين عبد الحليم بن تيمية الحنبلي (ت. ٦٨٢هـ/١٢٨٣م)[١٠١]	فقيه	حران	ابن رواحة وابن خليل وابن يعيش
٢٧	برهان الدين محمود بن علي الشافعي (ت. ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)[١٠٢]	فقيه	مراغة (من مدن اقليم اذربيجان)	ابن رواحة وابن الأستاذ
٢٨	جمال الدين محمد بن أحمد الشريشي المالكي (ت.٦٨٥هـ/١٢٨٦م)[١٠٣]	محدّث ونحوي	الأندلس	ابن يعيش
٢٩	شمس الدين محمد بن محمود الشافعي (ت ٦٨٨هـ/١٢٨٩م)[١٠٤]	فقيه وأصولي	أصفهان	طغريل المحسني
٣٠	شمس الدين عبد الرحمن بن أحمد الصالحي الحنبلي (ت ٦٨٩هـ/١٢٩٠م)[١٠٥]	محدّث	بيت المقدس	ابن خليل
٣١	فخر الدين علي بن أحمد بن البخاري الحنبلي (ت ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م)[١٠٦]	محدّث	حران	ابن خليل
٣٢	تقي الدين إبراهيم بن علي الصالحي الحنبلي (ت ٦٩٢هـ/١٢٩٣م)[١٠٧]	محدّث	واسط	ابن الأستاذ
٣٣	نجم الدين أحمد بن حمدان الحنبلي (ت ٦٩٥هـ/١٢٩٦م)[١٠٨]	فقيه	حران	ابن خليل
٣٤	شمس الدين محمد بن أبي بكر الحنبلي (ت ٦٩٥هـ/ ١٢٩٦م)[١٠٩]	فقيه ومتصوف	حران	ابن اللتي وابن خليل وابن رواحة
٣٥	محمد بن جوهر الحنفي (ت. ٦٩٦هـ/١٢٩٧م)	مقرئ	تلعفر	ابن رواحة وابن خليل
٣٦	ابن واصل الشافعي (ت ٦٩٧هـ/١٢٩٨م)[١١٠]	مؤرخ	حماه	ابن شداد وابن يعيش
٣٧	عبد الحافظ بن عبد المنعم الحنبلي (ت ٧٠٣هـ/١٣٠٤م)[١١١]	محدّث	بيت المقدس	إبراهيم بن خليل
٣٨	زين الدين عبد الله بن مروان الشافعي (ت ٧٠٣هـ/١٣٠٤م)[١١٢]	فقيه	ميافارقين	ابن رواحة وابن خليل

الجدول رقم (٣)			عينة لخمسين عالما ممَنْ رحلوا الى حلب طلبًا للعلم (ق ٧هـ / ١٣م)	
٣٩	أبو الحسن علي بن مسعود الحنبلي (ت ٧٠٤هـ/١٣٠٥م)[١١٣]	محدّث	الموصل	ابن رواحة وابراهيم بن خليل
٤٠	شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الشافعي (ت ٧٠٥هـ/١٣٠٦م)[١١٤]	حافظ محدّث	دمياط من بلاد مصر	ابن رواحة وابن خليل
٤١	نظام الدين محمد بن عبد الكريم الشافعي (ت ٧٠٦هـ/١٣٠٧م)[١١٥]	مقرئ	تبريز (من مدن إقليم أذربيجان)	ابن رواحة وابن شداد
٤٢	أبوبكر محمد بن يوسف بن مسدي المالكي (ت ٦٦٣هـ /١٢٦٥م)(١١٦)	محدث حافظ	الأندلس	ابن الأستاذ
٤٣	شمس الدين محمد بن سامة الحنبلي (ت ٧٠٨هـ /١٣٠٩ م)[١١٧]	محدّث	بيت المقدس	كانت له رحلة إلى حلب
٤٤	أبوبكر أحمد بن محمد الحنبلي (ت ٧١٣هـ/١٣١٣م)[١١٨]	محدّث	الدشت	ابن يعيش
٤٥	عبد الغني بن عروة الحنبلي (ت ٧١٨هـ/١٣١٨م)[١١٩]	متصوف	رأس العين	عز الدين الرسعني
٤٦	نصر بن سليمان الصوفي الحنفي (ت ٧١٩هـ/١٣١٩م)[١٢٠]	مقرئ ومتصوف	منبج	إبراهيم بن خليل
٤٧	عفيف الدين اسحاق بن يحي الحنفي (ت ٧٢٥هـ/١٣٢٥م)[١٢١]	محدّث	آمد (من مدن الموصل)	ابن خليل والضياء صقر
٤٨	عز الدين الغرافي الشافعي (ت ٧٢٨هـ/١٣٢٨م)[١٢٢]	فقيه	مصر	نقيب الأشراف وابن يعيش
٤٩	علم الدين البرزالي الشافعي (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٩ م)[١٢٣]	حافظ محدّث	دمشق	ابن اللتي وبيبرس العديمي
٥٠	شمس الدين الذهبي الشافعي (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)[١٢٤]	حافظ محدّث	دمشق	سنقر القضائي وشهدة بنت الصاحب بن العديم
المجموع	٥٠			

من خلال دراسة هذه العيّنة من العلماء، وجدت أنّهم ينتمون الى خمسة عشر (١٥) مدينة من مختلف مدن العالم الإسلامي، أوّلها مدن الجزيرة الفراتية كالموصل وشهرزور ميافارقين ورأس العين وآمد وغيرها وعدد العلماء منها تسعة علماء (٠٩)، ثمّ مدينة حرّان بثمانية علماء (٠٨)، ثمّ بيت المقدس بخمسة علماء (٠٥)، وبعدها بلاد الأندلس بخمسة علماء (٠٥)، وتليها بعد ذلك مدينة حماه وبغداد وبعض مدن بلاد مصر بثلاثة علماء (٠٣)، يضاف إلى ذلك بعض العلماء من مناطق أخرى كبلاد المغرب وواسط وقزوين وغيرها كما هو موضّح بالجدول السابق، وهذا الأمر يدلّ على أنّ سمعة مدينة حلب في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، قد تجاوزت حدودها القريبة، إلى أقاصي العالم الإسلامي بما شهدته من حركة علمية جذبت إليها طلبة العلم من مختلف الأرجاء.

وإذا نظرنا الى هؤلاء العلماء من زاوية أخرى وهي مذاهبهم أمكننا أن نرى تنوعًا أيضًا، وهوما رصدناه من خلال الجدول رقم (٤).

جدول رقم (٤)	عينة من خمسين عالما درسوا في مدينة حلب حسب مذاهبهم (ق ٧هـ/١٣م)	
العلماء حسب مذاهبهم	العدد	النسبة المئوية
الشافعية	٢١	%٤٢
الحنابلة	١٨	%٣٦
الحنفية	٠٧	%١٤
المالكية	٠٤	%٨
المجموع	٥٠	%١٠٠

بناءً على نتائج الجدول رقم (٤) فإنّ العلماء الشافعية من العينة السابقة بلغ (٢١) رجلاً ونسبة (٤٢%)، يليهم الحنابلة بـ (١٨) عالمًا ونسبة (٣٦%)، ثمّ الحنفية بـ (٠٧) علماء، ونسبة (١٤%)،

وأخيرًا المالكية بـ (٠٤) رجال ونسبة (٨%)، وهو ترتيب منطقي ومعقول جدًا، ولكننّا سنؤجل محاولة تفسيره لنربطها بما سنوضّحه من خلال الجدول الموالي، والذي رصدنا فيه أكثر ستة علماء في مدينة حلب من الذين كان إليهم المقصد في طلب العلم والحديث.

جدول رقم (٥)	أكثر ستة علماء قصدًا من طلبة العلم في مدينة حلب (ق٧هـ /١٣م)
اسم العالم ومذهبه	تخصّصه العلمي
ابن يعيش الشافعي (ت ٦٤٣هـ/١٢٤٥ م)	نحوي ومحدّث
ابن خليل الحنبلي (ت ٦٤٨هـ/١٢٥٠م)	محدّث
ابن رواحة الشافعي (ت٦٤٦هـ/١٢٤٨م)	محدّث وفقيه
افتخار الدين الهاشمي الحنفي (ت ٦١٦هـ/١٢١٩م)	محدّث وفقيه
ابن شداد الشافعي (ت ٦٣٢هـ/١٢٣٥م)	محدّث وفقيه
ابن الأستاذ الشافعي (ت ٦٦٢هـ/١٢٦٤م)	محدّث وفقيه

إذا ربطنا هذا الجدول بما قبله أمكننا أن نفهم بسهولة أنّ الأغلبية الشافعية من طلبة العلم الذين درسوا بمدينة حلب، إنّما تعود الى أنّ الأكثرية من علماء حلب ومحدّثيها هي من الشافعية، وبالتالي فطلبة العلم كانوا يقصدون المدينة لسماع الحديث وأيضا للاستزادة من الفقه، خصوصًا مع وجود جماعةٍ من كبار علماء الشافعية فيها من أمثال بهاء الدين بن شداد (ت ٦٣٢هـ/١٢٣٥م) وابن رواحة الحموي (ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م) وزين الدين بن الأستاذ(ت ٦٦٢هـ/١٢٦٤م).

أمّا الحنابلة من طلبة العلم فكان أكبر همهم في مدينة حلب هو سماع الحديث، خصوصًا مع تركّز طائفة كبيرةٍ من المحدّثين من مختلف المذاهب في المدينة مثل افتخار الدين الهاشمي الحلبي الحنفي (ت. ٦١٦هـ/١٢١٩م) وابن خليل الدمشقي ثمّ الحلبي الحنبلي (ت٦٤٨هـ/١٢٥٠م)، وعز الدين الرسعني الحنبلي (ت. ٦٦١هـ/١٢٦٣م)، وسُنقر القضائي الحلبي الشافعي (ت. ٧٠٦هـ/١٣٠٧م)، ولهذا وجدنا طائفة الحنابلة في المرتبة الثانية من طلبة العلم في حلب، وهي الطائفة المعروفة بالرحلة والجهد في طلب العلم والحديث. وإذا تطرّقنا إلى الحنفية فسنجدهم في الترتيب الثالث، لأن تركيزهم كان على الفقه والنحو، أمّا المالكية فكان أكثر اهتمامهم بالنحو وإلى حدٍّ ما الحديث الشريف.

وبالنظر إلى عيّنة العلماء الخمسين من منظورٍ آخر هو التخصّصات العلمية التي عُرف بها هؤلاء العلماء وجدنا النتائج التالية من خلال الجدول رقم (٦).

جدول رقم (٦)	عينة من خمسين عالمًا درسوا في مدينة حلب وتخصصاتهم العلمية (ق ٧هـ/١٣م)	
التخصصات العلمية للعلماء	العدد	النسبة المئوية
المحدّثون	٢٧	٥٤ %
الفقهاء	١٤	٢٨ %
المقرئون	٠٤	٨ %
المؤرخون والإخباريون	٠٣	٦ %
النحاة	٠٢	٤ %
المجموع	٥٠	%١٠٠

من خلال القراءة المتأنّية لنتائج هذا الجدول نلاحظ أنّ فئة المحدّثين جاءت على رأس هذه التخصصات العلمية بـ (٢٧) محدثًا، ونسبة (٥٤%)، ويبد وأنّ سبب ذلك يعود لكون هذا العصر كان عصر علم الحديث بامتياز، إضافةً إلى سببٍ آخر تمثّل في استقرار مجموعةٍ هامةٍ من المحدّثين في المدينة طوال القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي على غرار يوسف بن خليل الحنبلي (ت. ٦٤٨هـ/١٢٥٠م)، وأخيه إبراهيم بن خليل الحنبلي (ت. ٦٥٨هـ/١٢٦٠م)، ومحي الدين الشاطبي المالكي (ت. ٦٦٢هـ/ ١٢٦٤م)، وعبد الرحيم بن عبد الرحيم بن العجمي الشافعي (ت. ٦٧٠هـ/ ١٢٧٢م)، وكمال الدين بن النصيبي الشافعي (ت. ٦٩٢هـ/ ١٢٩٣م)، وجمال الدين بن الظاهري الحنفي (ت. ٦٩٦هـ/١٢٩٧م)، وعلاء الدين سنقر القضائي الشافعي (ت. ٧٠٦هـ/١٣٠٧م)، وبيبرس العديمي الحنفي (ت. ٧١٣هـ/١٣١٣م) وغيرهم كثير.

ومن أبرز المحدّثين الذين سمعوا في مدينة حلب نجد: تقي الدين بن الصلاح الشافعي (ت.٦٤٣هـ/١٢٤٥م)، والجمال بن الصابوني الشافعي (ت. ٦٨٠هـ/١٢٨١م) والذي أصبح شيخًا لدار الحديث النورية في دمشق،[١٢٥] وشهاب الدين بن تيمية الحنبلي (ت. ٦٨٢هـ/١٢٨٣م)، وشرف الدين الدمياطي الشافعي (ت. ٧٠٥هـ/١٣٠٦م)، والحافظ شمس الدين الذهبي (ت. ٧٤٨هـ/١٣٤٧م).

أمّا بالنسبة للفقهاء فقد بلغ عددهم من العينة السابقة (١٤)، وبنسبة (٢٨%)، وترتيبها الثاني مردّه إلى أنّ المجالس الفقهية ومدارسها قد انتشرت بشكلٍ كبيرٍ في مدن العالم الإسلامي في هذا العصر، وبالتالي فلم تكن الرحلة إلى حلب بغرض التفقه مغريةً كما هو الشكل بالنسبة للحديث. وكذلك الأمر بالنسبة للمقرئين بـ (٤)

رجال، ونسبة (٨ %)، ثمّ المؤرخين والإخباريين بـ (٣) رجال، ونسبة (٦%)، وأخيرًا فئة النحاة بـ رجلين ونسبة (٤%).

ولنا ملاحظةٌ في هذا المجال، تتمثّل في أنّ ما كان يجذب طلبة علم النحو إلى مدينة حلب هو وجود شخصيةٍ مهمّةٍ في هذا التخصص العلمي، هي شخصية ابن يعيش الحلبي (ت. ٦٤٣هـ/١٢٤٥م)، والتي طغت على غيرها من شيوخ النحو في المدينة، ليس لتميّزه في هذا العلم فحسب، وإنّما لأنّه شارك في علومٍ أخرى وبرع فيها كالقراءات والحديث وإن كنّا قد قصرنا الحديث عنه على علم النحو لأنّ دوره فيه كان أكبر وأبرز، وممّن درس على يديه النحوي الشهير محمد بن أحمد الشريشي (ت. ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)، والمؤرخ ابن خلكان الشافعي (ت. ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م)، والمؤرخ ابن واصل الحموي الشافعي (ت. ٦٩٧هـ/١٢٩٨م). وعمومًا فإنّ هذه الاستنتاجات والتحليلات تبقى نسبيةً وغير قابلةٍ للتعميم رغم ما تُقدّمه لنا من إضاءات مهمّةٍ للموضوع.

ثالثا: الأسر العلمية المذهبية

اشتهرت في مدينة حلب خلال القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، أُسرٌ علميّةٌ مذهبيةٌ تعدّدت عطاءات أفرادها من علم الحديث إلى الفقه إلى القضاء والمناصب الإدارية المختلفة، مشكّلةً بذلك ظاهرةً علميةً جديرةً بالاهتمام والبحث، لأنّها تُبيّن لنا بجلاءٍ مدى مذهبية الحياة العلمية في المشرق الإسلامي عمومًا وفي مدينة حلب خصوصًا، هذا من جهة ومن جهةٍ أخرى تضعنا أمام أهميّة البيئة الأسرية في ترسيخ العلم وتوارثه. وقد وُجدت في مدينة حلب في هذا القرن عدّة أُسرٍ توارثت العلم، إلاّ أنّني أحصيت منها خمسة أسرٍ[١٢٦] كانت هي الأكثر دورًا ونشاطًا في الحياة العلمية بالمدينة، وسأذكرها تباعًا وأُردف كلّ واحدةٍ منها بشجرة نسبٍ تبيّن ما تفرّع عنها من علماء وفقهاء ومحدّثين:

وأوّلها: أسرة بني العجمي الشافعية التي تُنسب إلى الشيخ شرف الدين أبوطالب عبد الرحمن بن العجمي (ت. ٥٦١هـ/١١٦٦م)[١٢٧]، وقد خرج منها عشرات الفقهاء والمحدّثين في حدود قرنين من الزمان، من نهاية القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي إلى القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، ومن أشهر هؤلاء في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي الفقيه شمس الدين أحمد بن عبد الرحيم بن العجمي (ت. ٦٣١هـ/١٢٣٤م)[١٢٨]، والفقيه كمال الدين عمر بن عبد الرحيم بن العجمي (ت. ٦٤٢هـ/١٢٤٥م)[١٢٩]، والفقيه شرف الدين عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن العجمي (ت. ٦٥٨هـ/١٢٦٠م)[١٣٠]، والمحدّث عماد الدين عبد الرحيم بن عبد الرحيم بن عبد الرحيم بن العجمي (ت. ٦٧٠هـ/١٢٧١م)[١٣١]، والمحدّثة فاخرة بنت عبد الله بن عمر بن العجمي (ت ٦٩٧هـ/١٢٩٨م)[١٣٢]، والشيخ المسند شمس الدين أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن العجمي (ت. ٧١٤هـ/ ١٣١٤م)[١٣٣]، وغيرهم كثير إلى حدود منتصف القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي.

وثاني هذه الأسر هي أسرة بني النحاس الحنفية نسبةً إلى الفقيه هبة الله بن طارق بن النحاس الحلبي الحنفي،[١٣٤] ومن علمائها في هذا القرن الفقيه موفق الدين محمود بن هبة الله بن النحاس (ت. ٦٠٢هـ/١٢٠٦م)،[١٣٥] والفقيه بدر الدين يعقوب بن ابراهيم بن هبة الله بن النحاس (ت. ٦٣٧هـ/١٢٤٠م)،[١٣٦] والفقيه إسحاق بن محمود بن هبة الله بن النحاس (ت. ٦٤٤هـ/١٢٤٦م)،[١٣٧] ومحي الدين محمد بن يعقوب بن هبة الله بن النحاس (ت. ٦٩٥هـ/١٢٩٦م)،[١٣٨] والمحدّث بهاء الدين أيوب بن أبي بكر بن ابراهيم بن النحاس (ت٦٩٩هـ /١٣٠٠م)،[١٣٩] والمسند كمال الدين إسحاق بن أبي بكر بن إبراهيم بن النحاس (ت ٧١٠هـ/١٣١٠م).[١٤٠]

والأسرة الثالثة هي: أسرة بني أبي جرادة المعروفة أيضًا ببني العديم الحنفية، وهي من نسل هبة الله بن محمد بن أبي جرادة (ت. ٥٥٤هـ/ ١١٥٠م)،[١٤١] ومن أشهر أعلامها في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي الفقيه أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة (ت. ٦١٣هـ/١٢١٦م)،[١٤٢] وابنه المحدّث محمد بن أحمد بن أبي جرادة (ت ٦٥٦هـ/١٢٥٨م)،[١٤٣] وأخوه المؤرخ والمحدّث الكبير كمال الدين عمر بن أحمد بن العديم (ت. ٦٦٠هـ/١٢٦٢م)،[١٤٤] وابناءه: المحدث مجد الدين عبد الرحمن (ت. ٦٧٧هـ/١٢٧٨م)،[١٤٥] وجمال الدين محمد (ت. ٦٩٤هـ/١٢٩٥م)،[١٤٦] وقد كانا من كبار فقهاء الحنفية بالمدينة، وابنته المحدّثة أم محمد شُهدة ابنة عمر بن العديم (ت. ٧٠٩هـ/١٣١٠م)،[١٤٧] وقد استمرّت هذه الأسرة العريقة في مدّ الحركة العلمية بالعلماء والفقهاء حتّى خلال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي.

والأسرة الرابعة هي أسرة بني الأبيض الحنفية التي تنتسب إلى الفقيه الحنفي يوسف بن الخضر الحلبي الحنفي المعروف بالأبيض (ت. ٥٩٢هـ/١١٩٦م)،[١٤٨] ومن ابنائها الفقيه محمد بن يوسف بن الخضر المعروف بقاضي العسكر (ت. ٦١٤هـ/١٢١٧م)،[١٤٩] والمحدّث أحمد بن محمد بن يوسف (ت. ٦٥٨هـ/١٢٦٠م)،[١٥٠] والفقيه عبد الله بن محمد بن يوسف (ت. ٦٦٥هـ/١٢٦٧م)،[١٥١] والفقيه محمد بن عبد الله بن محمد (ت. ٦٨٤هـ/١٢٨٥م)،[١٥٢] والمحدّثة فاطمة بنت أحمد بن محمد (ت. ٦٨٥هـ/١٢٨٦م).[١٥٣]

أمّا آخر هذه الأسر فهي أسرة بني الأسدي أوبني الأستاذ الشافعية، وهي منسوبة إلى الفقيه عبد الله بن علوان بن عبد الله الأسدي الحلبي الشافعي المعروف بالأستاذ، وقد خرج منها عدّة فقهاءٍ ومحدّثين طوال القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، ومنهم الحافظ عبد الرحمن بن عبد الله بن الأستاذ (ت. ٦٢٣هـ/١٢٢٦م)[١٥٤] وابناه الفقيهان زين الدين عبد الله (ت. ٦٣٥هـ/١٢٣٨م)[١٥٥] وجمال الدين محمد (ت. ٦٣٨هـ/١٢٤١م)،[١٥٦] ومنهم أيضًا المحدّث كمال الدين أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الأستاذ (ت. ٦٦٢هـ/١٢٦٤م)،[١٥٧] والفقيه عز الدين عمر بن محمد بن عبد الرحمن (ت. ٦٩٢هـ/١٢٩٣م)،[١٥٨] وخاتمة هذه

الأسرة في هذا القرن كانت بالمحدّث بهاء الدين يوسف بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن (ت. ٦٩٩هـ/١٣٠٠م).[١٥٩]

خاتمة

من خلال هذه الدراسة الموجزة لمظاهر الحياة العلمية في مدينة حلب في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، أمكننا إيجاز أهم النتائج التي تم التوصّل إليها فيما يلي:

تنوّع المجالس العلمية في المدينة والتي شملت الفقه والحديث والنحو والفرائض وغيرها من العلوم الشرعية، مع قلّةٍ في مجالس العلوم العقلية بسبب عدم رواجها في المدينة، وتحكّم الفقهاء في الحياة العلمية، حيث صبغوها بصبغةٍ مذهبيةٍ خاصة، برز فيها بشكلٍ كبيرٍ اللونان الشافعي والحنفي وندُر وجود تأثير لغيرهما، وهو أمرٌ يُمكن تفسيره بالتعصّب المذهبي، والاستعانة بالحكّام للتمكين للمذهبين المذكورين وتهميش ما عداهما، والأمر هنا غير قاصرٍ فقط على الفروع وإنّما تعدّاه إلى أصول الدين، على أنّه لابدّ من التذكير -برغم ذلك- على أدوارٍ للحنابلة في مجال الحديث، وللمالكية في النحو خصوصًا، مع الإشارة إلى تناقص هذه المجالس العلمية بمجملها، عقب الغزو المغولي للمدينة سنة (٦٥٨هـ/١٢٦٠م).

ومن المظاهر التي رأيت أنّها مهمة أيضًا، زيادة نشاط الهجرة إلى مدينة حلب والرحلة إليها، حيث أصبحت مقصدًا لطلبة العلم والمتفقهة، بعد أن لم تكن ذات بالٍ قبل ذلك، وتبيّن لي هذا الأمر من خلال عيّنةٍ عشوائيةٍ من خمسين عالمًا درسوا بحلب، وقد حملت هذه العيّنة نتائج متعدّدة: في مذاهب أصحابها، والأسباب العلمية لرحلتهم إلى المدينة، وما تخصّصوا فيه فيما بعد من العلوم المختلفة، بل إنّ منهم أعلامًا بارزةً في القرن (٧هـ/١٣م) وما بعده، كالمؤرخ ابن خلكان الشافعي (ت. ٦٨١هـ/١٢٨٢م)، والحافظ شرف الدين الدمياطي الشافعي (ت. ٧٠٥هـ/١٣٠٦م)، والحافظ علم الدين البرزالي الشافعي (ت. ٧٣٩هـ/١٣٣٩م)، والحافظ شمس الدين الذهبي الشافعي (ت. ٦٤٨هـ/١٣٤٧م).

وهذا التغير في مكانة مدينة حلب في المشرق الإسلامي، قد رصده عددٌ من المؤرخين وأشاروا إليه، ومنهم ابن خلكان في ترجمته لابن شداد الشافعي في كتابه "وفيات الأعيان"، وكذلك ياقوت الحموي في "معجم البلدان" عند حديثه عن المدينة، وكلا الرجلين مصدرين مهمّين لأنّهما عاشا في مدينة حلب ردحًا من الزمن وعاصرا هذا الأمر الذي نتحدّث عنه.

ومن النتائج المهمة أيضًا أنّ الطبيعة المذهبية للحياة العلمية في المدينة، قد ساهمت في إيجاد أسرٍ علمية مذهبية، توارثت العلم وساهمت بدورها في دفع الحركة العلمية في المدينة، ومنها أسرة بني العجمي الشافعية وأسرة بني العديم الحنفية وغيرها.

وفي الحديث عن تأثير الحياة العلمية في مدينة حلب في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، على مختلف مناحي الحياة فهو موضوعٌ يحتاج إلى دراسةٍ مستقلّةٍ لتشعبه وارتباطه بعدّة عوامل مختلفة، إلاّ أنّه يُمكننا تسجيل بعض النقاط المفيدة في هذا الأمر ومنها:

أنّ الحياة العلمية كانت في بعض صورها وجهًا آخر للاستقرار السياسي، وأيضًا لمدى اهتمام الحكّام والسلاطين بالعلم ورجالاته، خصوصًا أنّ التشرذم والتفكك كان هو السّمة البارزة للمحيط السياسي في المشرق الإسلامي في ذلك العصر، ومدينة حلب لم تخرج عن هذا الإطار العام.

وبمقارنةٍ بسيطةٍ بين حالة الفقهاء والعلماء قبل القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وخلاله، يتوضّح لنا التغير الملموس ولعلّنا نرصد هذا التغير جليًا من خلال ما تورده المصادر التاريخية المختلفة، فابن خلكان في ترجمته للقاضي الفقيه بهاء الدين بن شداد الشافعي يُلاحظ أنّه صار للفقهاء حرمةٌ كبيرةٌ في وقته، وأصبحوا يأكلون على سماط الحكام، وهذه المكانة لم تكن لتوجد لولا البيئة العلمية التي أتاحت لهم دورًا مؤثرًا في الحياة السياسية فضلاً عن دورهم العلمي، وابن شداد نفسه كان هو صاحب الكلمة العليا في كلّ ما يدور في مدينة حلب. وفي مقابل ذلك لابدّ لنا من الإشارة إلى أنّ تطور الحياة العلمية ونشاطها لم يكن مرتبطًا دائمًا بالاستقرار السياسي، بل إنّنا أحيانًا نستغرب للتناسب العكسي بينهما.

وفي الجانب الاجتماعي وجدنا أنّ أهمّ ظاهرةٍ هي زيادة التعصب المذهبي، بفعل التنافس المذهبي بين أرباب المذاهب المختلفة، وقد تجسّد ذلك في إنشاء المؤسسات العلمية والتعليمية والمجالس العلمية، ولم يقتصر التعصب على العامة فقط وإنّما تعدّاه إلى العلماء والفقهاء الذين هم في الأصل من أسباب هذه الظاهرة، إضافةً إلى الحكام والوزراء، وهوما جعل مدينة حلب مثلاً تُحرم من دورٍ كبيرٍ لعلماء الحنابلة والمالكية إلاّ نادرًا.

ورغم الفائدة الكبيرة التي جرّها التنافس العلمي والمذهبي بزيادة وتيرة المجالس العلمية والتصنيف، إلاّ أنّ انقلاب الأمر إلى تعصّبٍ مذهبيٍ ذميمٍ، أساء إلى الحياة العلمية برمّتها، خصوصًا بعد أن انتشر في أوساط العامة وصار سلوكًا اجتماعيًا شائعًا.

وعمومًا فالحياة العلمية في مدينة حلب قد بلغت أوجّها في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وإن كانت قد تعرّضت لضربةٍ قاصمةٍ في أواسط هذا القرن بفعل الهجمة المغولية، ولكن سرعان ما تماسكت من جديد وواصلت مسيرتها حتّى نهاية القرن، وفي القرن الموالي الذي شهد هو أيضًا حركةً علميةً جديرةً بالدراسة والبحث وقد تلمّسنا ملامحها في نهاية دراستنا هذه، ولعلّ باحثًا يهتم بها وبصورها المختلفة.

الهَوامِشُ:

(١) ابن خلكان: **وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان**، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٩م. ج٢، ص٢٣٥.

(٢) **مختصر القدوري**: هو مختصر في الفقه الحنفي للشيخ أبي الحسين أحمد بن محمد القدوري البغدادي (ت. ٤٢٨هـ) وقد ظلّ لقرون عديدة مشهورًا ومتداولاً عند الحنفية وله شروح عديدة وقد طبع كثيرًا. عبد العزيز بن ابراهيم بن قاسم: **الدليل الى المتون العلمية**، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص٣٤٩.

(٣) **الوجيز**: هو مختصر في الفقه الشافعي ألّفه أبوحامد الغزالي (ت. ٥٠٥هـ/١١٢م). اسماعيل باشا البغدادي: **هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، دار احياء التراث العربي، بيروت، ب ت.، ج٢، ص٨٢.

(٤) سنذكر مصادر هذا الإحصاء التقريبي في المتن بالتفصيل.

(٥) ابن شداد: **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة**، تحقيق دومينيك سوروبل، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية، دمشق، ١٩٥٣م.، ج١، ص١٠٩.

(٦) ابن العديم: **بغية الطلب في تاريخ حلب**، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٨م، ج١٠، ص٤٣٣٢.

(٧) الصفدي: **الوافي بالوفيات**/ تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار احياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ج٢، ص٢٦١. والذهبي: **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧، ص٣٥٩.

(٨) ابن قطلوبغا: **تاج التراجم في طبقات الحنفية**، محمد خير رمضان يوسف، دار القلم، دمشق، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢، ج٢، ص ٦٦.

(٩) الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ج١، ص١٦٧. واليونيني: **ذيل مرآة الزمان**، ط ٢، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ج٢، ص٣٠٤.

(١٠) ابن خلكان: المصدر السابق، ج٧، ص٩٠.

(١١) نفسه: ج٧، ص٩٠.

(١٢) **المهذّب**: هو كتاب في الفقه لأبي اسحاق الشيرازي الشافعي (ت. ٤٧٦هـ/ ١٠٨٣). السبكي: **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، ط ٢، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤١٣هـ، ج٤، ص٢١٥.

(١٣) الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨، ج٢٣، ص١١٥.

(١٤) نفسه: ج٢٣، ص٣١٩.

(١٥) الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ج٩، ص ١٤٠.

(١٦) اليونيني: المصدر السابق، ج٢، ص٢٣٣ .

(١٧) الذهبي: **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق عبد السلام تدمري، ط ٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.، ج٤٤، ص٣٩٣.

(١٨) اليونيني: المصدر السابق، ج٤، ص ١٦٥.

(١٩) **كتاب التعجيز**: هو كتاب في الفقه الشافعي لابن يونس الموصلي الشافعي (ت. ٦٧١هـ/ ١٢٧٢م). السبكي: المصدر السابق، ج٨، ص١٩٢.

(٢٠) **كتاب حلية الشاشي**: كتاب في الفقه الشافعي لأبي بكر الشاشي الشافعي (ت. ٥٠٧هـ/١١١٣م). نفسه: ج٦، ص٧١.

(٢١) ابن قاضي شهبة: **طبقات الشافعية**، تحقيق عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ، ج٢، ص٢٣٥.

(٢٢) القرشي: **الجواهر المضية في طبقات الحنفية**، مير محمد كتب خانة، كراتشي، ب ت.، ج٢، ص١٤٦.

(٢٣) نفسه: ج١، ص٣٣٠.

(٢٤) الذهبي: **العبر في خبر مَنْ غبر**، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ب ت.، ج٣، ص١٧٠.

(٢٥) ابن شداد: المصدر السابق، ج١، ص ١٤.

(٢٦) الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ج٤، ص١٨٦.

(٢٧) ابن شداد: المصدر السابق، ج١، ص١١٧.

(٢٨) نفسه: ج١، ص١١٣.

(٢٩) ابن شاكر الكتبي: **فوات الوفيات**، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣م، ج٣، ص١٢٦.

(٣٠) ابن كثير: **البداية والنهاية**، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ب ت، ج١٧، ص٤٤٢.

(٣١) الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج٤٦، ص٣١٩.

(٣٢) ابن العديم: المصدر السابق، ج٣، ص١٢٦٨. والعيني: **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، ص٤٩٨.

(٣٣) الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج٥٢، ص ٢١٣.

(٣٤) سنذكر مصادر هذا الإحصاء التقريبي عند التطرق للموضوع بالتفصيل في المتن.

(٣٥) ابن خلكان: المصدر السابق، ج٧، ص٩١ وص٩٩.

(٣٦) ابن قاضي شهبة: المصدر السابق، ج٢، ص٩٦.

(٣٧) أبوشامة: **ذيل الروضتين أوتراجم رجال القرنين السادس والسابع**، تحقيق محمد زاهد الكوثري، ط ٢، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٤م، ص١٦٣.

(٣٨) ابن عبد الهادي: **طبقات علماء الحديث**، تحقيق أكرم البوشي وابراهيم الزيبق، ط٢، ١٩٩٦م، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج٤، ص٢١٩.

(٣٩) في سبب توليته دار الحديث يذكر ابن رجب الحنبلي نقلاً عن ناصح الدين الحنبلي (ت. ٦٣٤هـ) أنّ ابن شداد رأى في المنام الرسول "عليه الصلاة والسلام" فسأله عن أفضل المذاهب، ثمّ كتم ابن شداد الجواب، وقدرأى الناصح أنّه أشار الى مذهب الإمام أحمد، ودليله في ذلك أنّ ابن شداد لم يغيّر تعصّبه على الأحناف بل مال الى الحنابلة وأجلس الصريفيني في دار الحديث، ولوكان الجواب مذهب الشافعي لأظهره، لأنّه كان داعيةً له مبالغًا في تعظيمه عند السلاطين. ابن رجب الحنبلي: **الذيل على طبقات الحنابلة**، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٩٥٣م، ج١، ص١٦٨.

(٤٠) الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ج٦، ص٩١.

(٤١) الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ب. ت، دار إحياء التراث العربي، الهند، ج٤، ص٢٥١، ص٢٥٢. وابن رجب: المصدر السابق، ج١، ص١٦٨.

(٤٢) ابن رجب الحنبلي: المصدر السابق، ج١، ص١٨٢.

(٤٣) ابن العماد الحنبلي: **شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب**، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، مج٧، ص٤٢١.

(٤٤) الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ج٨، ص٣٨.

(٤٥) الصفدي: **أعيان العصر وأعوان النصر**، تحقيق علي أبوزيد وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ج١، ص٣٤١. وابن عبد الهادي: المصدر السابق، ج٤، ص٢٦٤.

(٤٦) الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ج٤، ص١٨١.

(٤٧) الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ج١٠، ص٢١٩. والتقي الغزي: **الطبقات السنية في تراجم الحنفية**، دار إحياء العلوم، بيروت، ب ت، ج١، ص١٩٧.

(٤٨) ابن رجب: المصدر السابق، ج١، ص١٣١. وابن العماد: المصدر السابق، مج٧، ص٢٥٣.

(٤٩) الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج٢٢، ص٣٨٧.

(٥٠) الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ج١٧، ص٧٦.

(٥١) الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ج١، ص١٦٧.

(٥٢) الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج٥١، ص٣١٥.

(٥٣) ابن تغري بردي: **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ب ت، ج٢، ص١٥٨.

(٥٤) ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج٧، ص٤٣٣.

(٥٥) الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ج١٨، ص٢٠١.
(٥٦) المصادر مفصلة حسب المجالس.
(٥٧) السيوطي: **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق محمد أبوالفضل ابراهيم، ط ٢، دار الفكر، القاهرة، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م، ج٢، ص٢٦١.
(٥٨) ابن خلكان: المصدر السابق، ج٧، ص٤٨.
(٥٩) نفسه: ج٧، ٤٩.
(٦٠) الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج٢٣، ص١٤٥.
(٦١) السيوطي: **بغية الوعاة**، ج١، ص١٣٠. وابن كثير: المصدر السابق، ج١٧، ص٢٩٠.
(٦٢) الصفدي: **أعيان العصر وأعوان النصر**، ج٢، ص٧٠٨.
(٦٣) الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج٤٥، ص٣٣٧.
(٦٤) ابن الجزري: **غاية النهاية في طبقات القراء**، مكتبة ابن تيمية، ب. ت، ج٢، ص١٢٢. والذهبي: معرفة القراء الكبار، ص٣٥٩. وابن كثير: المصدر السابق، ج١٧، ص٣٩٠، ص٣٩١.
(٦٥) الذهبي: **معرفة القراء الكبار**، ص٣٥٩.
(٦٦) الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ج٢، ص٢٦٢.
(٦٧) اليونيني: المصدر السابق، ج١، ص١٢.
(٦٨) القرشي: المصدر السابق، ج١، ص١٨٩.
(٦٩) ابن تغري بردي: المصدر السابق، ج١، ص٣٢. والتقي الغزي: المصدر السابق، ص٥٥.
(٧٠) ابن قطلوبغا: المصدر السابق، ج٢، ص ٦٦.
(٧١) **إسنا**: مدينة في أقصى الصعيد بمصر، على شاطئ النيل من الجانب الغربي. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، ب ت، مج١، ص١٨٩. ويبدوأنّ أكثر أهلها كانوا من الشيعة.
(٧٢) الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ج٩، ص١٤١.
(73) أحمد منير الدين: **تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الإجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس**، تر سامي الصقار، دار المريخ، الرياض، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م، ص٦٥.
(٧٤) **الوجادة**: هي أن يقف الشخصعلى كتاب لآخر فيه أحاديث يرويها بخطّه ولم يلقه، أولقيه ولم يسمع منه ذلك الذي وجده بخطّه فيقول: وجدت بخطّ فلان. وهي من طرق نقل العلم وتحمّله. ابن الصلاح: **مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الإصطلاح**، تح عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، القاهرة، ب ت، ص٣٥٨.
(٧٥) منهم الشافعي (ت. ٢٠٤هـ/ ٨١٩م)، والقاضي أبوالحسن الماوردي (ت. ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م). الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ج٤، ص٤٨. وابن شاكرالكتبي: المصدرالسابق، ج٣، ٤٢٧.
(٧٦) الذهبي: **تذكرة الحفاظ**، ج٤، ص١٤٥٩.
(٧٧) السيوطي: **طبقات الحفاظ**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ، ص٥٠٩.
(٧٨) الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج٢٣، ص١٤١. ابن كثير: المصدر السابق، ج١٣، ص١٩٦.
(٧٩) الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج٢٣، ص٢١٤.
(٨٠) الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج٤٧، ص١٧٢.
(٨١) الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ج٣، ص٢١٨. والذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج٤٧، ص٢٠٨.
(٨٢) الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ج٥، ص٨. والسيوطي: **طبقات الحفاظ**، ص٥٠٢.
(٨٣) الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج٤٧، ص٣٧٩.
(٨٤) نفسه:ج٤٨، ص١٣٢.
(٨٥) الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ج١٠، ص١٦٨.
(٨٦) أبوشامة: المصدر السابق، ص٤٨.
(٨٧) القرشي: المصدر السابق، ج٢، ص٥.
(٨٨) الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ج٢، ص٧٣.
(٨٩) ابن تغري بردي: المصدر السابق، ج١، ص٣٦٧.
(٩٠) الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج٢٣، ١٤٥.
(٩١) الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج٥٠،ص٨٠.
(٩٢) نفسه: ج٥٠، ص١١٨.
(٩٣) نفسه: ج٥٠، ص١٤٦.
(٩٤) الذهبي: **المعجم المختص بالمحدثين**، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق، الطائف، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص٣٩. **وتاريخ الإسلام**، ج٥٠، ص ٢٦٠.
(٩٥) الذهبي: نفسه، ص٢٤٣.
(٩٦) الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج، ص. وابن العماد: المصدر السابق، مج٧، ص٦٣٠.
(٩٧) الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج٥٠، ص٣٦٩.
(٩٨) ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، مج٧، ص٦٤٣. والذهبي: **العبر في خبر مَنْ غبر**، ج٣، ص٣٤٥.
(٩٩) الذهبي: **تاريخ الإسلام**،ج٥٠،ص٣٦٤.
(١٠٠) ابن خلكان: المصدر السابق، ج٧، ص٤٨ و٩٠.
(١٠١) ابن تغري بردي: المصدر السابق، ج٧، ص١٤٨.
(١٠٢) ابن قاضي شهبة: المصدر السابق، ج٢، ص٢٠٢. والسبكي: المصدر السابق، ج٨، ص٣٦٩.
(١٠٣) الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ج٢، ص٩٤. والذهبي: **المعجم المختص بالمحدثين**، ص٢٢٠.
(١٠٤) الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج٥١، ص٣٤٩.
(١٠٥) ابن العماد: المصدر السابق، مج، ص٧١٤. وابن رجب: المصدر السابق، ج٢، ص٢٥٠.
(١٠٦) الذهبي: **المعجم المختص بالمحدثين**، ص١٥٩. وابن رجب: المصدر السابق، ج١، ص٢٥١.
(١٠٧) الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ج٦، ص٤٤.
(١٠٨) ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، مج٧، ص٧٤٩.
(١٠٩) الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج٥٢، ص٢٧٧.
(١١٠) الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ج٢، ص٢٣٣.
(١١١) ابن قاضي شهبة: المصدر السابق، ٢، ص١٩٤.
(١١٢) الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ج١٧، ص٣٢٣.
(١١٣) ابن رجب: المصدر السابق، ج١، ص٢٧٤. والذهبي: **معجم الشيوخ**، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق، الطائف، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م،ج٢، ص٥٦.
(١١٤) ابن تغري بردي: المصدر السابق، ج٧، ص٣٦٧. وابن شاكر الكتبي: المصدر السابق، ج٢، ص٤١٠.
(١١٥) الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ج٣، ص٢٣٢.
(١١٦) نفسه: ج٥، ص١٦٦.
(١١٧) الذهبي: **معجم الشيوخ**، ج٢، ص٢٠٩. **والعبر في خبر مَنْ غبر**، ج٤، ص١٤.
(١١٨) ابن حجر العسقلاني: **الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة**، تحقيق محمد عبد المعيد ضان، ط٢، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، ج١، ص٣٦٤. والذهبي: **المعجم المختص بالمحدثين**، ص٣٦.
(١١٩) الصفدي: **أعيان العصر وأعوان النصر**، ج٣، ص١١٥.
(١٢٠) القرشي: المصدر السابق، ج٢، ص٣٣٥.
(١٢١) ابن حجر: المصدر السابق، ج١، ص٤٢٦. **والذهبي: المعجم المختص بالمحدثين**، ص٧٠.

(١٢٢) الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ج٥، ص٢٠٦.

(١٢٣) الحسيني: **ذيل تذكرة الحفاظ**، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت، ص١٠. والسبكي: **معجم الشيوخ**، تح بشار عواد وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٤م، ص٣٢٠. والصفدي: **الوافي بالوفيات**، ج١٠، ص٢١٩.

(١٢٤) الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج٥٣، ص٧٢. وابن العماد: المصدر السابق، مج٧، ص٦٣٠.

(١٢٥) الذهبي: **العبر في خبر مَنْ غبر**، ج٣، ص٣٦٤.

(١٢٦) تفصيل المصادر عند الحديث عن كل شخصية علمية.

(١٢٧) السبكي: المصدر السابق، ج٧، ص١٤٧. والذهبي: **العبر في خبر مَنْ غبر**، ج٣، ص٣٦.

(١٢٨) سبط بن العجمي: **كنوز الذهب في تاريخ حلب**، تحقيق شوقي شعث وفالح البكور، دار القلم، حلب، ١٤١٧هـ، ج١، ص٣٩٨.

(١٢٩) الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج٢٣، ص١١٥.

(١٣٠) الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ج١٧، ص٩٣. والعيني: المصدر السابق، ص٧٠.

(١٣١) الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج٤٩، ص٣٠٨.

(١٣٢) نفسه: ج٥٢، ص٣٣٤. و**معجم الشيوخ**: ج٢، ص١٠٢.

(١٣٣) ابن حجر: المصدر السابق، ج١، ص٢٠٣.

(١٣٤) القرشي: المصدر السابق، ج٢، ٥٣.

(١٣٥) نفسه:، ج٢، ص١٦٢.

(١٣٦) ابن شداد: المصدر السابق، ج١، ص١١٧.

(١٣٧) نفسه: ج١، ص١٢١.

(١٣٨) الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج٥٢، ص٢٧٦. و**معجم الشيوخ**، ج٢، ص٣٠٢. وفيه أنّه كان يقول "أنا في الفروع على مذهب أبي حنيفة، وفي الأصول على مذهب أحمد".

(١٣٩) القرشي: المصدر السابق، ج١، ص١٦٣.

(١٤٠) الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ج٨، ص٢٦٥.

(١٤١) القرشي: المصدر السابق، ج٢، ص٢٠٥.

(١٤٢) نفسه: ج١، ص١٣١.

(١٤٣) نفسه: ج٢، ص٢٧.

(١٤٤) الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ج٢٢، ص٢٦٩ و٢٧٠ و٢٧١.

(١٤٥) الذهبي: **المعجم المختص بالمحدثين**، ص٢٠٦.

(١٤٦) الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج٥٢، ص٢٢٨.

(١٤٧) الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر، ج٢، ص٥٢٩.

(١٤٨) القرشي: المصدر السابق، ج٢، ص٣٦٣.

(١٤٩) نفسه: ج٢، ص٣٩٠.

(١٥٠) الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج٤٨، ص٣٣٢.

(١٥١) القرشي: المصدر السابق، ج٢، ص٢٩٠.

(١٥٢) نفسه: ج٢، ص٦٩.

(١٥٣) الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج٥١، ص٢٢٩.

(١٥٤) ابن كثير: **طبقات الشافعيين**، تحقيق أنور الباز، دار الوفاء، المنصورة، ٢٠٠٤م، ص٨١٤.

(١٥٥) الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج٤٦، ص٢٢٩.

(١٥٦) نفسه: ج٤٦، ص٣٨٢.

(١٥٧) ابن كثير: **طبقات الشافعيين**، ص٨٨٦.

(١٥٨) السبكي: المصدر السابق، ج٨، ص٣٤١.

(١٥٩) الذهبي: **تاريخ الإسلام**، جج٥٢، ص٤٦٢